

الأركان الأساسية في النظام الإسلامي

المكان: مدينة مشهد المقدسة

المناسبة: بدء السنة الإيرانية الجديدة ١٣٩٤ ش

الحضور: جموع غفيرة من مختلف شرائح الشعب

الزمان: ١/١/١٣٩٤ ش. ٣٠/٥/١٤٣٦ هـ. ٢١/٣/٢٠١٥ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين المكرمين، سيما بقية الله في الأرضين. اللهم صلّ على فاطمة بنت نبيك وزوجة وليك وأمّ السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة الطاهرة الطاهرة المطهرة النقية النقية الزكية، سيدة نساء أهل الجنة أجمعين. اللهم صلّ على وليك علي بن موسى عدد ما في علمك، صلاة دائمة بدوام ملكك وسلطانك. اللهم سلم علي وليك علي بن موسى عدد ما في علمك سلاماً دائماً بدوام مجدك وعظمتك وكبريائك.

نشكر الله تعالى على أن منّ علينا مرة أخرى وسنة أخرى بفرصة اللقاء بكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء زوار المشهد الرضوي وسكان مدينة مشهد في ظل مرقد سيدنا أبي الحسن الرضا (عليه الصلاة والسلام).

الإيراني المسلم الفطن غير نوروز التراثي على أساس عقيدته وكما يريد. احتفظ بقلب النوروز وشكله وغير محتواه. كان نوروز التراثي نوروز الملوك، وفرصة للسلطين والحكام المستبدين من أجل أن يستعرضوا هيبتهم وعظمتهم أمام الشعوب، ويجلسوا ويتقبلوا الهدايا منهم. حتى في أزمنة بني أمية وبني العباس عندما تسرّب النوروز إلى بلاطات الخلافتين الأموية والعباسية، تفشت نفس سلوكيات وسير ملوك وأكاسرة فارس القديمة في بلاطاتهم. لكن الإيراني المسلم غير ذلك النظام وذلك القالب لصالحه، مع أن هذا التغيير لم يحصل بصورة دفعية مفاجئة، لكنكم اليوم وبعد مضي قرون تشاهدون أن النوروز أضحى مناسبة ووسيلة للارتباط القلبي بين الناس وبين مصدر العظمة والعزة، أيّ الذات المقدسة للباري تعالى. حقيقة النوروز في الوعي الإيراني حقيقة شعبية. الناس بمناسبة النوروز يتعاملون مع بعضهم بنقاء ومحبة ويباركون بعضهم ويقدمون الهدايا بعضهم لبعض. لم تعد الرسوم والتقاليد الملوكية القديمة للنوروز موجودة اليوم بعد مضي السنين والقرون. في أيام النوروز وتحويل السنة الجديدة نجد أن أكثر الأماكن

ازدحاماً في كل أنحاء البلاد هي المراقد المقدسة للأئمة وأبناء الأئمة (سلام الله عليهم). البارحة - في منتصف الليل - كان هناك في هذا المرقد المقدس مئات الألوف من المؤمنين بقلوب طاهرة يتوجهون إلى مصدر العظمة والقدرة، ويناجون ربهم، ويطلبون من محوّل الأحوال تحويل حالهم إلى أحسن الحال، ويؤدّون مراسيمهم الدينية. إذن، هذا النوروز الذي لدينا اليوم ليس النوروز التراثي القديم، إنه نوروز إيراني، نوروز الشعب المسلم الذي استطاع أن يوفر لنفسه من قالب تلك المراسم التراثية القديمة رصيماً ويتقدم صوب أهدافه. نتمنى أن يعين الله تعالى شعب إيران العزيز على أن يطلق هذه الابتكارات الإسلامية الذكية في كل المسائل والحالات. لذلك في هذه السنة حيث صادفت أيام النوروز ذكرى استشهاد سيدة العالم الإسلامي الكبرى سيدتنا فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) من المتيقن منه أن مراسم النوروز يجب أن لا تتعارض أبداً مع تكريم واحترام اسم وذكرى هذه السيدة الجليلة، ومن المتيقن منها أنها لن تتعارض. لقد اخترت اليوم مسألة لأطرحها عليكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء الحاضرون في هذا التجمع العظيم، وعلى كل الشعب الإيراني.

أبدأ الكلام بتأمل قرآني. لقد وضع الله تعالى شرطاً للذين وعدهم بالنصر: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (١) ﴿الَّذِينَ إِذَا مَا كُنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أقمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢). يذكر الله تعالى في هذه الآية الشريفة أربعة مؤشرات للمؤمنين الذين يتولون زمام السلطة ويحظون بالقوة ويخرجون من تحت نير سلطة الجباية الجائرين، ويعد بـ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. الله تعالى قادر على نصر مثل هذا الشعب، وسوف ينصره يقيناً. من هذه الشروط الأربعة الصلاة، ومنها الزكاة، ومنها الأمر بالمعروف، ومنها النهي عن المنكر. لكل واحد من هذه الخصوصيات والمؤشرات الأربعة جانب فردي شخصي، ولكن ثمة إلى جانب ذلك البعد الشخصي الفردي جانب اجتماعي وتأثير في صناعة النظام الاجتماعي. الصلاة بكل تلك الأسرار والخبايا المودعة في حقيقتها، وهي معراج كل مؤمن و«قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ» (٣)، ووسيلة للفوز والسعادة، وأفضل وأعلى من كل الأعمال، حتى الصلاة لها جانب اجتماعي. الجانب الاجتماعي للصلاة هو أن كل واحد من المسلمين يتصل بسائر المسلمين في قطب واحد عن طريق الصلاة. كل المسلمين أين ما كانوا من أنحاء العالم الإسلامي يتوجهون بقلوبهم في وقت واحد أثناء الصلاة نحو قطب واحد، وتتصل قلوبهم بذلك القطب. اتصال كل القلوب بقطب واحد قضية اجتماعية، وصناعة للنظام، وفيها تعيين وهندسة وتكوين للنظام الإسلامي.

والزكاة ذات الجوانب الفردية، حيث تعلم الإنسان التجاوز عن ما يحب وإعطاء ما هو عزيز عليه، وهذه بحد ذاتها تجربة وامتحان مهم جداً، لها في الوقت ذاته ترجمة اجتماعية. الزكاة في الاستعمالات القرآنية بمعنى مطلق الإنفاقات فهي تشمل الزكاة المصطلحة المشار لها في الآية الشريفة: «خُذْ مِنْ

أموالهم صدقة» (٤). الزكاة بمعنى مطلق الإنفاقات المالية، لكن لها جانب اجتماعي وترجمة اجتماعية صانعة للنظام تتمثل في أن الإنسان الذي يتمتع في البيئة الإسلامية والمجتمع الإسلامي بالمال الدنيوي يرى نفسه ملزماً ومدنياً ولا يرى نفسه طالباً؛ يرى نفسه مديناً للمجتمع الإسلامي، سواء مقابل الفقراء والضعفاء أو مقابل سبيل الله. إذن، الزكاة بهذه النظرة حكم ومؤشر صانع للنظام.

أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذان يعدان بنحو من الأنحاء البنية التحتية لكل تحركات الإسلام الاجتماعية، و«بها تُقام الفرائض» (٥)؛ الأمر بالمعروف يعني أن من واجب كل المؤمنين أين ما كانوا من العالم أن يأخذوا بأيدي المجتمع صوب الحسنى والمعروف وصوب كل الأعمال الخيرة. والنهي عن المنكر يعني أن يعملوا على إبعاد المجتمع عن المساوىء والقبائح والانحطاط. كل واحد من هذه المؤشرات الأربعة يعبر بشكل من الأشكال عن بناء وهندسة النظام الإسلامي.

وأقول على هامش ذلك إنه يجب عدم حصر هذا المعنى المهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقضايا هي دون حد نصاب الأهمية، بمعنى أن يتصور البعض أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينحصر في أن ينبه الإنسان امرأة أو رجلاً لم يراعيا فرعاً دينياً معيناً؛ هذا هو طبعاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً، لكنه ليس أهم أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. النوع الأهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأمر بأكبر معروف والنهي عن أكبر منكر. أكبر صنوف المعروف هو بالدرجة الأولى تأسيس النظام الإسلامي وحفظه وصيانته، هذا هو الأمر بالمعروف. لا معروف أعلى من تأسيس النظام الإسلامي وحفظه. كل من يبذل جهوده ومساعدته في هذا السبيل فهو أمر بالمعروف. الحفاظ على عزة الشعب الإيراني وسمعته أكبر معروف. هذه هي صنوف المعروف: الرفعة الثقافية وسلامة البيئة الأخلاقية وسلامة البيئة العائلية وزيادة النسل وتربية الأجيال الشابة المستعدة لرفعة البلاد والعمل على ازدهار الاقتصاد والإنتاج وتعميم الأخلاق الإسلامية ونشر العلم والتقنية وتكريس العدالة القضائية والعدالة الاقتصادية والمجاهدة من أجل اقتدار الشعب الإيراني، وفوق ذلك اقتدار الأمة الإسلامية والسعي والمجاهدة من أجل الوحدة الإسلامية. هذه هي أهم أنماط المعروف ومن واجب الكل السعي والأمر من أجل تحقيق مصاديق المعروف هذه.

والموقف المقابل لذلك هو أنواع المنكر. الابتداء الأخلاقي منكر، ومساعدة أعداء الإسلام منكر، وإضعاف النظام الإسلامي وزعزعته منكر، وحلحلة الثقافة الإسلامية منكر، وإضعاف اقتصاد المجتمع وإضعاف العلم والتقنية منكر، يجب النهي عن هذه المنكرات. وأول أمر بالمعروف هو الذات الإلهية المقدسة نفسها حيث يقول عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} (٦). الله تعالى أمر بالمعروف ناه عن المنكر. وقد تبينت حالات المعروف

ومصاديقه، والمنكرات أيضاً صارت معلومة. الكيان المقدس لرسول الإسلام الأعظم (صلى الله عليه وآله) أرقى الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. تقول الآية القرآنية: {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ} (٧). والأئمة الأطهار (عليهم السلام) أكبر الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. نقرأ في الزيارة: {أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (٨). والمؤمنون والمؤمنات في أي بقعة من بقاع الأرض الإسلامية أمرون بالمعروف، حيث يقول: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} (٩). هذه هي الأركان الأربعة الرئيسية لصناعة النظام، وتتفرع عن كل واحد منها عدة فروع وشعب. يتوكأ النظام الإسلامي على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي الانسجام والتواصل الاجتماعي والقلبي بين أبناء المجتمع في النظام الإسلامي.

إنني هنا وفي بداية كلمتي اليوم أروم الاستنتاج من هذا البحث ما يتعلق بشعار هذه السنة الذي ذكرته في نداء منتصف الليلة الماضية للشعب الإيراني العزيز. في مجتمعنا وفي بلدنا الكبير العزيز، يطالبنا الإسلام مهما كانت المنابت الاجتماعية للأفراد وأذواقهم وميولهم، يطالبنا جميعاً بالانسجام والتعاقد والتكامل ومساعدة بعضنا لبعض الآخر. الحكومات في النظام الإسلامي يجب أن تحظى بدعم الشعب، حتى من قبل الذين لم يمنحوا أصواتهم لهذا الشخص المعين في الحكومة، هؤلاء أيضاً يجب أن يقدموا الدعم والمساندة. هذا هو الكلام الحقيقي ولباب معنى الانسجام الاجتماعي والوطني في بلدنا الإسلامي. على الجميع باعتبارهم وحدة وكياناً واحداً أن يوحدوا كلمتهم مع الحكومة المسؤولة عن الأمور ويساعدوها، خصوصاً في الحالات التي يواجه فيها البلد قضايا هامة وتحديات كبيرة، وسوف أذكر بعض النقاط في هذا المضمرة.

واجب كل أبناء الشعب في الوقت الراهن أن يدعموا مسؤولي البلاد ويساعدوا مدراء الحكومة. وهذا الأمر لا يختص بهذه الحكومة، إنما يتعلق بكل الحكومات، وكذلك الحال بالنسبة للحكومات التي ستتولى زمام الأمور لاحقاً.

أولاً لأن كل الحكومات تهتم اهتماماً رئيسياً بحل مشكلات الشعب، طبعاً قد تكون لهم قدرات وطاقات متفاوتة، ولا تكون جميع الحكومات بمستوى واحد من حيث القدرة.

ثانياً قد تكون لهم أذواق متنوعة، لكن الهدف في كل هذه الحكومات هو أن تستطيع خلال فترة مسؤولياتها وبمقدار قدراتها معالجة مشكلات البلاد. أية حكومة تتولى الأمور ضمن إطار دستور البلاد فهي حكومة قانونية وشرعية. ليس من المهم عدد ونسبة الذين صوتوا لرئيس الجمهورية هذا أو رئيس الجمهورية ذاك، زيادة ونقصان الأصوات يعودان لدرجة الشعبية، لكنهما لا علاقة لهما بالشرعية والطابع

القانوني. أي شخص ينتخب بأيّ عدد من الأصوات من قبل أكثرية الشعب وفقاً لإطار الدستور فهو شرعي والحكومة قانونية، وعلى الشعب أن يعتبروها حكومة قانونية وأن يساعدها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. وطبعاً فالحقوق متبادلة وذات جانبيين.

وبالطبع فإن لكل حكومة نقادها، وهذه الحكومة أيضاً لها نقادها، والحكومات السابقة أيضاً كل واحدة كان لها ناقدها، إلى هنا لا إشكال في المسألة على الإطلاق. هناك أشخاص لا يوافقون هذا المنهج ولا يقبلون هذا السلوك ولا يتقبلون هذا الكلام، ولا يستسيغون هذه السياسة، هؤلاء ناقدون ومنتقدون، فلا مانع من ذلك، ولكن النقود يجب أن تكون ضمن الإطار المنطقي. أنا نفسي كانت لي انتقادات على الحكومات المختلفة، وقد ذكرت هذه الانتقادات دائماً، لم أكن أمتنع في حال من الأحوال عن بيان الأخطاء والانتقادات التي كنت أعتقد بوجودها، لكننا طرحنا تلك التنبهات في وضع مناسب وفي الموضوع والشكل المناسب. إما أننا بعثنا رسالة، أو ذكرنا الأمر في الاجتماعات، أو أصررنا عليه.

لا إشكال أبداً في توجيه الانتقادات والتنبهات، بيد أن هذه التنبهات يجب أن تكون بالشكل الذي لا يسلب الثقة العامة بالأشخاص المسؤولين والعاملين. التنبه إلى النواقص والعيوب يجب أن لا يكون بحيث يفضي إلى عدم الثقة العامة، وأن لا تكون فيه إهانات ولا يكون بالأساليب الغاضبة. لينظر الجميع بإخوة إسلامية لقضية العلاقة بين الحكومة والشعب، وليعملوا وفق هذا النهج.

طبعاً، هذا يشمل كلا الجانبين، فكما أوصي الناس باعتماد خطابٍ ودودٍ ولهجةٍ متعاطفةٍ مع الحكومة وبخلفية المساعدة ومد يد العون في تعاطيهم معها، كذلك أوصي المسؤولين في البلاد في السلطات الثلاث اعتماد الأسلوب المناسب مع منتقديهم، لا ينبغي توجيه الإساءة إليهم أو إهانتهم وتحقيرهم، إنّ إهانة المسؤولين لمعارضهم أمر مخالف للتدبير والحكمة. إنني لا أدعو شعبنا العزيز إلى اللابالية وعدم الاكتراث وعدم الإشراف على أداء المسؤولين، بل أدعوهم للاهتمام بقضايا البلاد الأساسية، لكنني أصرّ على أن لا يكون تعامل الناس مع المسؤولين وتعامل المسؤولين مع الناقدين تخريبياً أو فيه شيء من الإهانة والتحقير. قد يكون هناك قلق لدى البعض بخصوص قضية معينة. أن يكون لدى البعض قلق وهموم فهذه ليست بجريمة. يمكن أن يكون لدى البعض حقاً شعور بالقلق والهمّ تجاه قضية حساسة ومهمة من قضايا البلاد، لا مانع من هذا أبداً، لكن هذا يجب أن لا يكون بمعنى توجيه الاتهامات ولا يعني تجاهل الخدمات والجهود المبذولة. وفي الجهة الثانية على الحكومة وأنصار الحكومة أن لا يوجهوا الإهانات للذين يبدون قلقهم وهمومهم. أقول هذا بصراحة لشعبنا العزيز - وسبق أن قلته - لقد دعمت كل الحكومات خلال فترة مسؤوليتي، وأدعم هذه الحكومة أيضاً، وأين ما استوجب الأمر أوجه التنبهات

اللازمة، وطبعاً فأنا لا أوقع على بياض لأحد، إنما أنظر للأعمال والأداء وأحكم وأقيم على أساس الأداء، وسوف أعمل بتوفيق وعون من الله على أساس الأداء. هذه هي النقطة الأولى ذكرتها إيضاحاً لما طرحناه باعتباره شعار السنة - التعاطف ووحدة الكلمة بين الحكومة والشعب - ليكونوا متعاطفين ومتضامنين في كلمتهم، وليتعاونوا وليتحركوا إلى جانب بعضهم نحو رفع المشكلات.

وقلنا إن هذا يكتسب أهميته عندما تكون هناك فرص كبيرة أو يتوقع الإنسان تحديات كبيرة. ووضعنا الراهن اليوم من هذا القبيل. لدينا اليوم فرص كبيرة وهناك أماناً أيضاً تحديات يجب أن نواجهها، وأن نستخدم تلك الفرص للانتصار على هذه التحديات بتوفيق من الله. طيب، لدينا اليوم فرص كبيرة؛ ومن أكبر فرصنا ما يتعلق بالطاقات الإنسانية الكفوءة والمبدعة حيث يوجد في البلد والحمد لله الكثير من الطاقات الكفوءة وهي في الغالب طاقات شابة ومبدعة وبمعدنويات عالية.

من أكبر الفرص أماننا مواكبة الناس والشعب والشباب للنظام الإسلامي ولأهداف النظام الإسلامي والقدس أو يوم الثاني والعشرين من بهمن [١١ شباط ذكرى انتصار الثورة الإسلامية في إيران]، فالغالبية المشاركة فيها هم من الشباب. هؤلاء الشباب هم نفس أولئك الشباب الذين يتعرضون ليل نهار لقصف مخرب بواسطة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والإنترنتية؛ ثمة ضجة في العالم وفي العالم المجازي. ثمة في عالم الإعلام المسموع والمرئي المئات من الوسائل والتقنوات، بل ربما أمكن القول الآلاف من الوسائل تقصف دوماً أفكار شبابنا؛ بعضها يحاول إبعاد الشباب عن الدين، وبعضها يسعى لإبعادهم عن النظام الإسلامي، وبعضها يحاول بث الخلافات والنزاعات بينهم، وبعضها يريد استخدامهم لخدمة أهدافه الخبيثة، وبعضها يحاول جرهم إلى التحلل والعطل والفساد. هذا القصف متواصل دائماً على رؤوس شبابنا بواسطة هذه الأجهزة والوسائل الإعلامية الصوتية والتصويرية والإنترنتية، وفي الوقت نفسه تنظرون فترون عشرات الملايين من نفس هؤلاء الشباب في كافة أنحاء البلاد يخرجون إلى الشوارع في يوم الثاني والعشرين من بهمن، ويرفعون الشعارات، ويبدون مشاعرهم تجاه الإمام الخميني وتجاه الإسلام ويبدون حبهام تجاه النظام الإسلامي. هذا ليس بالشيء الصغير، بل هو فرصة كبيرة جداً.

من الفرص الأخرى التقدم العلمي الذي تحقق خلال فترة الحظر. في حالة من الحالات تتدفق القوى والحكومات والأموال والرساميل العالمية والدولية لمساعدة شعب من الشعوب، وفي حالة أخرى تغلق بوجه شعب كل الأبواب، ومع ذلك يستطيع ذلك الشعب إنجاز أعمال كبيرة في قطاعات ومجالات مختلفة. إنكم تلاحظون اليوم مثل هذه الأعمال والإنجازات، فيجب عدم الاستهانة بهذه الإنجازات أو التقليل من شأنها. هذه المرحلة الثانية عشر من حقول پارس الجنوبية التي افتتحت قبل أيام من قبل رئيس

الجمهورية، إنها مشروع صناعي جد كبير ومعقد يمكنه رفع النمو الاقتصادي ومحصلات الجهود العامة للبلاد بشكل محسوس. لدينا الكثير من المشاريع والإنجازات من هذا القبيل. لاحظتم في مناورات القوات المسلحة أنه تم الإعلان عن أجهزة ومعدات تعجّب الأعداء منها، وقد صرّحوا بهذا التعجّب والاندعاش، لا أننا نخمّن اندعاشهم، إنما هم أنفسهم يقولون إننا تعجبنا واندعشنا. هذه كلها حصلت في زمن الحظر. هذا ليس بالشيء القليل، بل هو فرصة كبيرة جداً، وهو ما قام به شبابنا وطاقاتنا المبدعة طوال سنوات الحظر الطويلة، أي من سنة ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ [٢٠١٠ و ٢٠١١ و ٢٠١٢ و ٢٠١٣ م] حيث فرضوا حظراً على البلاد توهموا أنه سيثقل البلاد.

هذه فرصة كبيرة جداً للبلاد. إذن، نفس هذا الحظر يعد فرصة. وسوف أذكر لاحقاً باختصار أن نفس هذا الحظر يعتبر بمعنى من المعاني فرصة لشعب إيران. نعم الحظر يخلق صعوبات، لكنه يمكنه أن يمثل أيضاً فرصة، وسوف أتطرق لهذا الشأن. طبعاً ثمة أمانات تحديات سوف أتحدث عنها اليوم بعض الشيء. من أكبر التحديات وأكثرها فورية في الوقت الحاضر قضية الاقتصاد الوطني؛ الاقتصاد. التوقع الحق لشعبنا هو أن يتمتعوا باقتصاد مزدهر ورفاهية عامة وأن تخرج الطبقة المحرومة من وضعها غير المقبول، وتتخلص من المشكلات. هذه هي توقعات الشعب الإيراني، وهي توقعات حقة. اقتصاد البلاد بحاجة إلى حركة جادة وعمل كبير، وسوف أشير إلى بعض مؤشرات ذلك. إنني طبعاً بقيت أتحدث عن الاقتصاد منذ أعوام. في نفس هذا الاجتماع والمناسبة قبل عدة سنوات توقعت وقلت إن الأعداء سوف يركزون على اقتصادنا (١٠) وعلى المسؤولين أن يفكروا ويعيدوا أنفسهم ويشدوا الأحزمة لمواجهة خصومة الأعداء وسياساتهم العدائية التي تركز على اقتصاد البلد. وسوف أذكر بعض النقاط حول الشأن الاقتصادي.

لقد انقضى من عقد العدالة والتقدم أكثر من نصفه. لقد رسمنا عقداً من الزمن بعنوان عقد العدالة والتقدم، وقد انقضى أكثر من نصفه. والأفق العشريني وصل إلى منتصفه. العشرون عاماً التي رسمناها وعيناها ورسمنا سياساتها كأفق تنموي انقضت منها عشرة أعوام، وهناك عشرة أعوام أماننا. هذه قضايا مهمة، وحساسية القضايا الاقتصادية تتضاعف في ضوء هذه الحقائق والوقائع.

أعداؤنا يقولون بصراحة إن هدفهم من الضغوط الاقتصادية هو هدف سياسي. هدفهم هو أن يدفعوا شعب إيران للوقوف بوجه النظام الإسلامي (١١)؛ لاحظوا؛ نعم طبعاً: «الموت لأمريكا»، لأن أمريكا هي العامل الرئيس لهذه الضغوط، وهم يصرون على التركيز على اقتصاد شعبنا العزيز، فما هو هدفهم؟ الهدف هو إيقاف الشعب على الضدّ من الجهاز الحاكم. هذا ما يقولونه بصراحة بأننا نروم توجيه ضغوط اقتصادية لتكون ظروف الشعب عصبية مما يدفع الناس إلى الاعتراض مقابل الحكومة والنظام الإسلامي.

هذا ما يقولونه صراحة، وطبعاً يدعون كذباً في بعض الأحيان بأنهم مناصرون لشعب إيران، وهذه أكاذيب لا يمكن تصديقها، ويجب عدم تصديقها من العدو، لكن هدفهم هو ذلك الهدف السياسي. يرومون القضاء على هذا الأمن السائد في البلاد اليوم - وهذه الأجواء الآمنة منقطعة النظير في منطقة غرب آسيا التي نحن فيها. الحمد لله على أنه لا في شرقنا ولا في غربنا ولا في شمالنا ولا في جنوبنا، لا يوجد في أي بلد الأمن الذي بمستوى الأمن السائد في بلادنا وشعبنا - على يد الشعب ودفن الشعب إلى الإخلال بالأمن والبدء بتحركات اعتراضية في البلاد. إنهم يحرضون ويعملون ويخططون. إنها عملية يسعون لها بجدّ وشدة. هذه ظروف مهمة وتحدي كبير. حينما يكون في البلد مثل هذا التحدي الكبير يجب أن تتكاتف كل القوى إلى جانب بعضها وتعمل سوية وتأخذ القضية الاقتصادية مأخذ الجد.

أذكر جملة من النقاط بخصوص الاقتصاد. النقطة الأولى هي أن ميدان الاقتصاد في الوقت الراهن وبسبب السياسات العدائية لأمريكا يعدّ ميدان قتال ومعركة. إنه ميدان حرب؛ حرب من نوع خاص. في ميدان القتال هذا كل من يستطيع أن يبذل جهوده ومسايعه لصالح البلد فهو مجاهد. كل من يستطيع اليوم مساعدة اقتصاد البلاد يكون قد قام بتحريك جهادي. هذا جهاد، وهو طبعاً جهاد له أدواته وأساليبه الخاصة، وعلى الجميع النهوض بهذا الجهاد بتدابير وأسلحة خاصة به. هذه هي النقطة الأولى.

النقطة الثانية هي أنه توجد نظرتان عامتان لاقتصاد البلاد. إنني أرجو خصوصاً من الخبراء والشباب وعامة أبناء شعبنا الأعمى أن يلتفتوا إلى هذه النقطة وهي وجود نظرتين للازدهار والتقدم الاقتصادي. نظرة تقول إننا يجب أن نحقق التقدم الاقتصادي بالاستعانة بإمكانيات البلاد والشعب الداخلية. هناك الكثير من الإمكانيات والطاقات في البلاد إما إنها لم تستخدم بعد، أو لم تستخدم بصورة صحيحة. لننتفع من هذه الإمكانيات والطاقات. هذا معناه الاقتصاد الذاتي التدفق، الاقتصاد الذي يستمدّ أركضته ومواده وخاماته من داخل البلاد ومن إمكانيات البلاد وقدرات الشعب ومواهبه. هذه نظرة تقول إننا من أجل الازدهار الاقتصادي يجب أن ننظر لإمكانيات البلاد الداخلية والمواهب والطاقات الموجودة في الداخل، ونوظفها ونستخدمها بشكل صحيح، وعندئذ سوف يزدهر الاقتصاد وينمو. هذه نظرة.

والنظرة الثانية لاقتصاد البلاد هي النظر لتقدم الاقتصاد بالاستفادة من المعونات الخارجية. يقولون لتغير سياستنا الخارجية حتى يصلح اقتصادنا، نتكيف مع المستكبر الفلاني من أجل أن يزدهر اقتصادنا، ونقبل ما تفرضه القوى المستكبرة في المجالات والقضايا المختلفة ليزدهر اقتصادنا. هذه هي النظرة الثانية. لقد أثبتت لنا ظروف البلاد حالياً أن هذه النظرة الثانية نظرة خاطئة وعقيمة وغير مجدية بالمرّة. هذا الحظر الذي يفرضونه اليوم على شعب إيران لهو دليل متين وقوي على خطأ هذه النظرة. بمعنى أنكم عندما تتأملون القوى الخارجية لتأتي وتصلح لكم اقتصادكم، وتنتظرون أن يزدهر الاقتصاد بخضوعكم

لهم، فإنهم لن يقنعوا بالحدود الدانية. عندما تنظرون للخارج تواجهون قضية من قبيل انخفاض أسعار النفط؛ فجأة تصل القوى المستكبرة ومعها عملاؤها في المنطقة إلى نتيجة فحواها إنهم يجب أن يخفضوا أسعار النفط إلى النصف، أو حتى إلى أدنى من النصف؛ تواجهون مثل هذه المشكلة؛ هكذا سيكون الحال عندما تتسمر الأنظار على الخارج. وعندما تنظرون إلى الداخل فلن يعود الحال على هذه الشاكلة. الأجنب ورؤساء القوى المستكبرة تريد اليوم تعزيز هذه النظرة الثانية عند شعب إيران.

لقد اطلعت على نداء رئيس جمهورية أمريكا لشعب إيران بمناسبة النوروز، يقول في هذا النداء تعالوا واقبلوا كلامنا؛ والواقع أن مضمون وحصيلة كلامه هي أن تعالوا واقبلوا في المفاوضات النووية الشيء الذي نملية عليكم من أجل أن تتوفر الأعمال والأرصدة والرساميل في بلادكم وتنطلق فيها الأنشطة الاقتصادية؛ أي هذه النظرة الثانية. هذه نظرة لن تجدي شيئاً أبداً؛ يجب أن ننظر إلى داخل البلاد، فالإمكانيات الداخلية كبيرة. هذا الاقتصاد المقاوم الذي طرحناه وتحديثنا عنه ولقي قبولاً من الخبراء والحمد لله - أي إنني لم أجد حتى شخصاً واحداً من الخبراء الاقتصاديين والاجتماعيين يرفض ما طرح تحت عنوان سياسة الاقتصاد المقاوم - يركز على هذا الجانب، يركز على الإمكانيات والطاقات الداخلية للبلاد. عندما لا يسمحون لكم باستيراد حتى الماء من أجل أراضيكم يجب طبعاً حفر آبار واستخراج الماء من داخل أراضيكم حتى لا تحتاج إلى مياه ذلك الجار البخيل. يجب أن نستمد من داخل البلاد ونستطيع التقدم بالأمور والأعمال إلى الأمام. هذه هي النقطة الثانية.

النقطة الثالثة هي أنه لا يمكن لا في الاقتصاد ولا في أية برامج أخرى التحرك من دون أهداف مرسومة. ينبغي رسم الأهداف. إذا تحرك المسؤولون الحكوميون في أي عمل من الأعمال من دون أهداف مرسومة فإن الأمر سيؤول إلى الرتابة اليومية ولا يصل إلى نتائجه. يجب أن تكون هناك أهداف ثابتة ومحددة تتحرك كل الأجهزة والطاقات باتجاه تحقيقها. أعتقد أن الشيء الذي يجب أن يحظى بالاهتمام في هذه السنة والسنتين اللاحقة كهدف اقتصادي هو الاستثمار من أجل الإنتاج الداخلي. يجب تعبئة كل الطاقات من قبل الجميع لتعزيز وتقوية الإنتاج الداخلي. يجب مطالبة كل المسؤولين الناشطين في المجالات الاقتصادية ومن كل أبناء الشعب بتقديم المساعدة لتعزيز الإنتاج الداخلي.

طبعاً ثمة سبل للمساعدة أذكر بعضها. من أوجب الأمور والأعمال دعم المراكز الإنتاجية المتوسطة والصغيرة. ومن الواجبات أيضاً تقوية نشاطات المراكز العلمية المحور. حينما نشدد على العلوم والتقانة فليس ذلك فقط من أجل رفع نصابنا العلمي، بل لأن التقدم العلمي والتقني يؤدي إلى التقدم الاقتصادي. المراكز العلمية المحور تستطيع مساعدة الاقتصاد الوطني. ومن الأعمال والأمور الواجبة نهضة النقل من بيع الخامات. ولهذا اعترضت قبل فترة على تبعية اقتصادنا للنفط وذكرته ذلك في كلمتي. يجب أن

نعمل ما من شأنه تقليل بيع الخامات تدريجياً وصولاً إلى اندثار هذه الظاهرة تماماً. يجب تحقيق القيمة المضافة. يمكن للبنوك أن تمارس دوراً في هذا الباب، يمكنها أن تمارس دوراً مساعداً، ويمكنها أيضاً ممارسة دوراً مخرباً، وهذا ما ينبغي أن يحظى باهتمام مسؤولي البنوك الكبار في البلاد. بعض البنوك في مختلف أنحاء البلاد وبأساليب خاصة عملوا على تعطيل المراكز الاقتصادية الصغيرة والمتوسطة وقضوا عليها. بوسع البنوك أن تساعد وبوسعها أن تخرب.

من الأعمال الأساسية الأخرى التي ينبغي أن يصار إليها تسهيل الاستثمار. من الأعمال الأساسية خفض استيراد البضائع الاستهلاكية، ومن الأعمال الأساسية مكافحة التهريب. يمكن للمسؤولين الحكوميين القيام بأعمال متنوعة عديدة. جانب من هذه الأعمال هو ما أشرت له هنا. طبعاً هذه الأعمال كلها أعمال صعبة؛ التحدث عنها سهل يسير والعمل بها صعب. لكن المسؤولين يجب أن يقوموا بهذه الأعمال الصعبة لأن القضية قضية مهمة. وبوسع الناس أن يكون لهم دور. القادرون على الاستثمار ليركزوا استثماراتهم على الإنتاج وليستثمروا في الأعمال الإنتاجية. والمستهلكون - وشعبنا كله في الواقع مستهلك - ليتجهوا صوب المنتجات الداخلية، وهذا ما شددت عليه مرات ومرات، وأقوله اليوم أيضاً وأشدد عليه. ليحاول الجميع استهلاك المنتجات الداخلية وليدعموا العامل الإيراني، وليعملوا على ازدهار الورشات والمعامل الإيرانية باستهلاك منتجاتها. وهناك قضية اجتناب الإسراف؛ ليعلم المسرفون أن هذا الإسراف والجشع والتبذير المذموم في الإسلام بهذه الدرجة الكبيرة يحدد مصير الاقتصاد الوطني.

إذا جرى اجتناب الإسراف والتبذير في الأموال الشخصية وفي الماء وفي الخبز وفي وسائل التشریفات الزائدة في الضيافات ومراسم الأعراس وباقي المراسم، وفي باقي الأمور والأشياء، فهذا سيساعد الاقتصاد الوطني. الذين يعملون في التجارة والمعاملات الخارجية يمكنهم أن يمارسوا دوراً، ودورهم عبارة عن صحة العمل من أجل أن يحفظوا ماء وجه الشعب الإيراني. كانت هذه هي النقطة الثالثة.

النقطة الرابعة بشأن الاقتصاد هي أن الحظر الأداة الوحيدة بيد العدو، ليعلموا هذا. الأداة الوحيدة بيد العدو لمواجهة الشعب الإيراني في الوقت الحاضر هي الحظر الاقتصادي. إذا تصرفنا بشكل صحيح وتبذير لأمكن احتواء تأثيرات الحظر. كما أشرتُ فإن هذه الأجهزة الإنتاجية والصناعية والتي تقوم الجهات الحكومية المسؤولة اليوم بافتتاحها لحسن الحظ - ومنها هذه المرحلة الثانية عشر من مشروع پارس الجنوبي التي سبق أن أشرت لها وهذا التقدم العسكري ومنتزهات العلم والتقانة هذه وما شابه ذلك - أعمال ومشاريع يمكنها القضاء على الحظر، فهي تقلل في البداية من تأثيرات الحظر ثم تقضي عليه. الحظر يخلق مشكلات لكن له مردودات إيجابية علينا في الوقت نفسه. لقد أثبت لنا الحظر أننا يجب

أن نعتمد على أنفسنا، وأثبت لنا أننا نستطيع الاستفادة من طاقاتنا الداخلية. لو عقد المسؤولون الحكوميون وأبناء الشعب وخصوصاً الناشطون في القطاعات الاقتصادية همهم وبذلوا مساعيهم وجهودهم، ومدّت الأجهزة الإعلامية العامة يد المساعدة - وسوف أشير لهذه النقطة - سنرى إن شاء الله بأن الحظر غير قادر على صدّ شعب إيران عن التقدم.

وأشير إلى نقطة بشأن الملف النووي، وطبعاً توجد نقاط أخرى لكنني لا أريد مواصلة الحديث في هذا الشأن أكثر. أذكر جملة أمور حول الملف النووي: أولاً في خصوص القضايا النووية يتحرك أعداؤنا وهم الطرف المقابل لشعب إيران - وعلى رأسهم أمريكا - بتدبير وتخطيط سياسي. هذا ما نتنبه له تماماً، فهم يفهمون ما الذي يفعلون. إنهم يحتاجون لهذه المفاوضات، وأمريكا بأمرّ الحاجة إلى المفاوضات النووية. وهذه الاختلافات التي تشاهدونها بين الأمريكيين، أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي بشكل والحكومة الأمريكية بشكل، هذه ليس معناها أنهم لا يحتاجون لهذه المفاوضات، لا، التيار المقابل للحكومة يرغب أن لا يسجل امتياز هذه المفاوضات باسم منافسه، أي الحزب الديمقراطي. إنه يسعى لهذا الشيء. إنهم بحاجة لهذه المفاوضات ويعتبرون هذه المفاوضات ضرورية بالنسبة لهم لكنهم يبدون الاستغناء عنها.

في نداء رئيس جمهورية أمريكا بمناسبة النوروز كان هناك للأسف كلام غير صادق. مع أنهم يبدون في الظاهر صداقتهم لشعب إيران لكن المرء يلاحظ تماماً وبكل وضوح أن هذه التصريحات غير صادقة. من هذا الكلام أنه يوجد في إيران أشخاص يعارضون الحل الدبلوماسي للقضية النووية. هذا ما يقوله هو. يقول يوجد في إيران أشخاص لا يريدون للقضية النووية أن تعالج بالمفاوضات الدبلوماسية. هذا كذب. لا يوجد في إيران أي شخص لا يريد للقضية النووية أن تعالج، وأن تعالج بطريقة المفاوضات. ما لا يريده شعب إيران هو قبول ما يفرضه عليه ومنطق القوة الذي تريد أمريكا فرضه عليه، هذا ما لا يريده شعب إيران. ما يقاوم الشعب الإيراني إزاءه هو قبول منطق القوة الذي يمارسه الطرف الآخر. يقول الطرف الآخر تعالوا نتفاوض واقبلوا أنتم ما نقوله بحذافيره. هذا ما يقوله. شعب إيران يقف بوجه هذا الشيء، ومن المتيقن منه أن مسؤولينا والوفد المتفاوض ومن خلفهم الشعب الإيراني، لا يقبلون هذا الشيء مطلقاً.

النقطة الثانية بخصوص الملف النووي هي أن هذه المفاوضات الجارية حالياً، حيث يتفاوضون مع الحكومات الأوروبية ومع أمريكا، التفاوض مع أمريكا هو فقط في شأن النووي، وليس إلا، ليعلم الجميع هذا. إننا لا نتفاوض مع أمريكا بخصوص قضايا المنطقة.

إن أهداف أمريكا بخصوص قضايا المنطقة تقف على الضد تماماً من أهدافنا. إننا نروم الأمن والهدوء للمنطقة، ونريد سيادة الشعوب، والسياسة الأمريكية في المنطقة هي زعزعة الأمن. لاحظوا بلاد مصر

ولاحظوا ليبيا ولاحظوا سورية! الأجهزة الاستكبارية وعلى رأسها أمريكا بدأت هجوماً معاكساً مقابل الصحوة الإسلامية التي انطلقت من قبل الشعوب، ولا يزال هذا الهجوم المعاكس جارياً ومستمراً في إيذاء شعوب المنطقة تدريجياً. هذا هو هدفهم، وهذا على الضد تماماً من أهدافنا. إننا لا نتفاوض ولا نتكلم مع أمريكا على الإطلاق في قضايا المنطقة ولا في القضايا الداخلية ولا في قضية التسليح؛ التفاوض حول القضية النووية فقط وكيف نستطيع حل القضية النووية بالأساليب الدبلوماسية.

النقطة الثالثة هي أن الأمريكان يكررون فكرة «إننا نعقد مع إيران معاهدة، ثم ننظر إذا عمل الإيرانيون بالمعاهدة، نرفع الحظر». هذا الكلام كلام خاطئ وغير مقبول. هذا شيء لا نقبله. رفع الحظر من موضوعات المفاوضات، وليس نتيجة للمفاوضات، والذين يعملون ويخوضون غمار الأمور يعلمون الفرق بين هاتين الحالتين بكل وضوح. هذه خدعة أمريكية يقولون إننا نعقد معاهدة ثم ننظر للسلوكيات ومن بعد ذلك نرفع الحظر! ليس الأمر كذلك؛ كما قال مسؤولونا بكل صراحة وقال رئيس الجمهورية المحترم بصراحة فإن رفع الحظر يجب أن يتم فوراً عند التوصل إلى اتفاق، بمعنى أن رفع الحظر يجب أن يكون جزءاً من الاتفاق وليس شيئاً يترتب على الاتفاق.

نقطة أخرى هي أن الأمريكان يكررون فكرة أنه يجب أن لا يكون هناك عودة إلى الماضي لدى إيران في قراراتها التي تتخذها والأشياء التي تقبل بها، هذا شيء لا نقبله. إذا كان بوسع الطرف المقابل إعادة الحظر ضد الشعب الإيراني مرة ثانية بسبب أي ذريعة، فلا يوجد أي وجه لأن يقبل وفدنا المفاوضات ويعمل بما من شأنه أن يكون هذا الأمر لا عودة فيه، على الإطلاق، هذه صناعة شعبية ومحلية وملك للناس، وعلومها وتقنياتها ملك للشعب، ويجب أن تتقدم إلى الأمم، وهذا التقدم جزء من طبيعة أي صناعة أو تقنية. هم يتحدثون عن القنبلة النووية، وهم أنفسهم يعلمون جيداً إننا لا نسعى لحيازة سلاح نووي، لكنهم يجعلون هذا الشيء ذريعة للضغط على شعب إيران. لقد كنا في هذا المفاوضات ملتزمين بكل الالتزامات الدولية، وقد كنا ملتزمين في هذه المفاوضات بعهود الأخلاق السياسية - الإسلامية، ولم نقض عهودنا، ولم نتحدث بطريقتين، ولم نكن متلونين، إنما الطرف المقابل لنا، أي الأمريكان نكثوا عهودهم وكانوا متلونين وغشاشين وكان سلوكهم سلوكاً يبعث على الاعتبار بالنسبة لشعبنا. والأشخاص غير المتفطنين بعد - داخل المجتمع التنويري للبلاد - إلى من هو الطرف المقابل - أمريكا - لا بأس أن ينظروا لهذه المفاوضات ويفهموا من الذي يواجهونه وما الذي تفعله أمريكا اليوم في العالم. وهذه التهديدات التي يطلقونها لا تأثير لها. أن يهددوا بمزيد من الحظر، وأن يهددوا بالتحرك العسكري في تصريحاتهم، فهذه تهديدات لا تخيف الشعب الإيراني. الشعب الإيراني واقف صامد وسيخرج بكل

نجاح إن شاء الله من هذا الاختبار الكبير. وما من شك في أن التوفيق الإلهي يمكنه أن يأخذ بيد شعبنا إلى برّ النجاة في هذا المضمار.

هناك قضايا مهمة أخرى لا مجال لطرحها. لا شك في أن هناك أعمالاً ومهمات كبيرة على عاتق الشعب والحكومة في إيران. قضية الاتحاد الإسلامي، وقضية مساعدة الشعوب المستضعفة، وقضية النفوذ المعنوي للإسلام في المنطقة والذي يرفع شعب إيران رايته اليوم، هذه أعمال كبيرة إذا وفقنا الله تعالى وشمل بتوفيقه شعب إيران العزيز - وسوف يشمله بتوفيقه ببركة أدعيتكم وبفضل هممكم وجهودكم وخصوصاً الشباب منكم - فسننهض إن شاء الله بهذه المهام الكبيرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١ - سورة الحج، شطر من الآية: ٣٩ .

٢ - سورة الحج، الآية: ٤١ .

٣ - من لا يحضره الفقيه، ج: ١، ص: ٢١٠ .

٤ - سورة التوبة، شطر من الآية: ١٠٣ .

٥ - الكافي، ج: ٥، ص: ٥٦ .

٦ - سورة النحل، شطر من الآية: ٩٠ .

٧ - سورة الأعراف، شطر من الآية: ١٥٧ .

٨ - الكافي، ج: ٤، ص: ٥٧٠ .

٩ - سورة التوبة، شطر من الآية: ٧١ .

١٠ - كلمته في زوار مرقد الإمام الرضا (ع) وأهالي مدينة مشهد المجتمعين في الحرم الرضوي

الشريف بتاريخ: ٢١/٠٣/٢٠٠٧ م .

١١ - ارتفاع شعارات الحاضرين ضد أمريكا: «الموت لأمريكا».